Route Educational & Social Science Journal

Volume 6(6); June 2019

Artical History

Received/ Geliş	Accepted/ Kabul	Available Online/yayınlanma
02.05. 2019	04.06.2019	15.06.2019.

Historical Aspects of non-formal education for rural women in southern Morocco.

جوانب من تاريخ التعليم غير النظامي للنساء القرويات بالجنوب المغربي

الباحث: رحال مبارك /جامعة ابن زهر أكادير المغرب

الملخص

تتناول الدراسة موضوعا مهما والذي يصب في حقل التعليم غير النظامي للنساء القرويات بالجنوب المغربي.إذ سنبين من خلال هذه المقالة أهم الصعوبات والإكراهات التي واجهت تعليم النساء،خاصة اللائي ينتمين إلى الطبقة العامة، أو الفقيرة.إلى جانب ذكر دور المرأة السوسية والصحراوية في نشر العلم والمعرفة بين صفوف النساء.

لقد اخترت فتح الموضوع بطرح إشكالية كتابة تاريخ المرأة،وكيف تناولت المصادر قضية المرأة عبر التاريخ.مع الإشارة إلى مواقف بعض الفقهاء المحليين،سواء المعارضين أو المؤيدين لتعليم المرأة.وبعد ذلك تحدثت عن مساهمة المرأة في تعليم النساء انطلاقا من البيت داخل الأسرة،ثم مروراً بالكُتاب.إلى واعظة ومرشدة داخل المجال القبلي.كما قدمت نماذج لبعض العلماء الذين كان لهم الفضل في تعليم زوجاتهم وبناتهم.إلى جانب الوقوف عند إسهام الطرق الصوفية في تأطير المرأة.

وسنرى كذلك فقيهات من سوس والصحراء،اللائي التحقن بركب الصلحاء والعلماء،وبرعن كثيرا في مجالات مختلفة كالطب وتدريس العلوم الشرعية ونسخ المؤلفات...والتاريخ يشهد لهن على ذلك.وبما أن التعليم غير النظامي بالجنوب المغربي قائم على التكافل والتضامن.لذا لابد أن نشير إلى التكافل الاجتماعي

داخل المدارس العتيقة"بصيغة المؤنث".وعبره سيكتشف القارئ أن المرأة القروية كانت دائماً تدعم الطلبة والعلماء مادياً ومعنوياً.

وفي الختام قدمنا استنتاجا عاما طرحنا فيه التحول الكبير الذي عرفه تعليم النساء في العقود الأخيرة،مقارنة مع ما كان عليه الحال قديما.

كلمات مفتاحية: تاريخ، التعليم، المرأة،سوس، الصحراء.

Abstract

This study revolves aroundexamining the obstacles and difficulties faced by women in the process of non-formal education, especially those belonging to the lower class, or the poor. In addition, it sheds some lights on the significant role of the Soussi and Sahrawi womenin the dissemination of science and knowledge among them.

The study is first initiated by presenting the problematic issue of writing the history of women. It also analyses how the different sources addressed the issue of women throughout history including some local jurists, both opponents and supporters of women's education. Then the paper talks about the contribution of women to the education starting from the indoors with the family to the Quranic school and also as a preacher and guide within the tribal area. Moreover, the study also provides examples of some male scholars who were credited with educating their wives and daughters, as well as standing by the contribution of the Sufi methods in framing women.

Historically speaking, the paper mentions how girls from Sous and the Sahara made it in being sacred and scholar and how they positively contributed in many areas such as medicine, teaching the forensic sciences and in the literary works. And that the non-formal education in the southern Moroccan based on solidarity and solidarity. Since the

non-formal education in the southern Moroccan was based on solidarity, it is then mandatory to mention the importance of social solidarity within the old schools that can be seen as the «feminine formula." Thus, the reader will certainly infer that the rural women have always supported students and scholars financially and morally.

In the end, the study conclude by the great transformation that women's education has experienced in recent decades, compared with what was the case in the past.

Keywords:*history, education, woman, sous, desert.*

مقدمة:

يعتبر العلم[1]فريضة،وأول آية نزل بها الوحي هي "اقرأ"،[2]وهي تأمر بالقراءة الذكر والأنثى على حد سواء.ومثل ذلك قول الرسول(ﷺ):"طلب العلم فريضة على كل مسلم."[3]كما أن الشريعة الإسلامية تحث على طلب العلم والمعرفة،ليس فقط في المراحل الأولى من حياة الفرد بل طوال حياته،مصداقاً لقوله تعالى في كتابه العزيز:"يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات."[4]وقد رأى بعض الفقهاء"وجوب تعليم المرأة والاعتناء بها،إذ لا تتم تربية الأمم إلا بتعليم البنات تعليماً صحيحاً ملائماً للدين والأخلاق الكاملة."[5]وسار الشاعر على ذلك النهج ،فهذا لأمير الشعراء أحمد شوقي يقول :"الأم مدرسة إذا أعددتها * أعددت شعباً طيب الأعراق".[6]

ورغم دعوة الإسلام إلى تعليم النساء أسوة بالرجال دون قيد أو شرط.إلا الواقع غير ذلك فالمصادر تحتفظ لنا بإشارات يظهر من خلالها عدم السماح لبعض النساء بولوج المدارس،خاصة منهن اللائي ينتمين لطبقة العامة.[7]بينما نساء البيوتات الحاكمة أو الأسر الشريفة،ينهلن من العلم وينلن حظهن من التعلم،[8]لذلك نجد أن أغلب من اشتهرن بالأدب والعلم هن من تلك الفئة.[9] بناءاً على ما سبق جاءت فكرة انجاز هذا العمل لرصد أهم التحديات والإكراهات التي واجهت تعليم النساء القرويات بالجنوب المغربي،ولإبراز دور المرأة السوسية والصحراوية في محاربة الجهل ومساهمتها في نشر العلم بين صفوف النساء

خاصة.وسنعرض بعض نماذج من النساء العالمات اللائي استطعن الالتحاق بركب الصلحاء والعلماء بالمنطقة.وأخيرا سنتحدث عن أشكال التكافل الاجتماعي داخل المدارس العتيقة"بصيغة المؤنث".

1 إشكالية كتابة تاريخ المرأة:

قبل الحديث عن الصعوبات التي واجهت تعلم المرأة بالجنوب المغربي،لابد من الإشارة إلى ندرة المصادر وقلة المعلومات حول تاريخ النساء القرويات عموما.إذ لم يبدأ الاهتمام بتاريخ النساء مثلاً في أوربا إلا في القرن 19م،بعد التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.وفي ذلك يخبرنا كريستيان كلابيش Christiane KLAPISH،بقوله:"لقد شجعت الصراعات الاجتماعية والتيارات النسائية في نهاية القرن 19م،وبداية القرن 20م،على التفكير في مكانة النساء في التاريخ وقدمت إمكانية لتاريخ النساء."[10]وقد جاء في مقدمة كتاب"تاريخ النساء في الغرب"،بقلم جورج دوبي Georges DuBy ومشيل بيرو Michelle PERROT:"إننا نحلم بتاريخ للنساء في الشرق وإفريقيا،الذي على نساء ورجال هذه البلدان كتابته،والذي سيكون بكل تأكيد،مغاير لتاريخنا،لأنه يفترض نظرة مزدوجة:نظرة حول أنفسهم،ونظرة حولنا نحن."[11]

يعتبر التأريخ للمرأة عند بعض المؤرخين قُبْحاً وشُنْعاً في حق المؤرخ وجُرْحاً في حقه.[12]ولقد وجه بن عبد الملك المراكشي صاحب"الذيل والتكملة"في مقدمة مؤلفه انتقادا لابن الآبار عن ذكره للنساء في مؤلفه:"فقد تساءل كيف أجاز هذا الأخير لنفسه ذكر النساء في كتابه برفقة "أهل العلم الذين هم خواص عباد الله".[13]وعادة ما نرى ذكر المرأة في المصادر الوسيطية يأتي عبر توجيه الخطاب للرجل.[14]بحيث كانت المرأة لا تذكر بدون زوجها أو والدها أو أخيها أو غيرهم من الأقارب من الذكور.[15]كما تشير مصادر التاريخ الحديث لدور المرأة باقتضاب وبدون نفس التركيز الذي يتم على أدوار الرجل ،ونلاحظ أن الروايات المكتوبة تقدم المجتمع المغربي على أنه مجتمع ذكوري بالدرجة الأولى،وأن المرأة لا تلعب فيه دوراً كبيرا،فهي لا تتقلد القضاء والإمامة ولا تقوم بالإفتاء أو التدريس،ولا تتولى الكتابة والشهادة وأعمال الإدارة والجيش

والحكم،وغيرها من الأمور العامة.[16]ولا يتم الحديث عن المرأة بشكل عام إلا حين تنتهك الحرمات،أو تسوء الأحوال،أو حين يكون لهن انتماء الأسر الحاكمة.[17]

ولقد خصصت كتب التراجم والمناقب،التي يعنى بعضها بالهامش والمهمشين،حيزاً ضئيلاً للنساء المشهورات.[18] فتتطرق إلى دور المرأة في الأعياد،واهتمامها بأضحية العيد،و تربطها بأمور عجائبية كالسحر،والشعوذة،وصنع التمائم،وزيارة الأضرحة،ويرد ذكرها كلما تفاقمت ظاهرة عنس البنات.[19]ونجد بعض المعلومات عن المرأة في كتب الرحالة.فهي تقدم لنا معلومات عن لباس المغربيات،وعاداتهن،وجمالهن،وبعض الأعمال اليومية التي اشتهرن بها،وغير ذلك.[20]وإذا تأملنا كتب النوازل سنكتشف أنها تتشابه في بنائها،بحيث تتناول قضايا متعلقة بنساء عابدات،وأخرى مرتبطة ببعض المعاملات اليومية وما يترتب عنها من نزاعات.[21] أما الوثائق المخزنية فتهتم بالمرأة الحضرية،أكثر من القروية.[22]كما أن ممثلوا المخزن،الذين كانوا يراسلونه في قضايا متنوعة،قلما كانوا يتعرضون لمسألة تتعلق بالنساء لما تشكله من حرمة،وقد يصادف الباحث كناشاً يفوق عدد وثائقه الألف لا يحتوي على وثيقة واحدة تتحدث عن موضوع المرأة.[23]ونستخلص أيضاً أن هذه المراسلات المخزنية لا تطرح القضايا المتعلقة بالمرأة إلا بالنسبة لنساء رجال المخزن،أو الشريفات،سواء اللائي لهن صلة قرابة مباشرة مع المخزن،أو مطلق الشريفات.[24]وكنتيجة لذلك نجد أن الوثائق المتعلقة"بنساء العامة"قليلة جداً،لا تتجاوز الإشارات فقط.[25]وصفوة القول إن البحث في تاريخ النساء أمر مضن وقد يخرج منه البحث بالقليل لغياب الإحالات المصدرية المكتوبة لكن الرواية الشفوية على العكس من ذلك تزخر بالعديد من الإشارات الكفيلة بمساءلة واقع المرأة وفهم خصوصيات الذهنية القبلية التي أفرزته. **2 موقف الفقهاء من تعلم المرأة:**

قديماً حُرمت العديد من النساء القرويات بالجنوب المغربي من حقهن في التعلم،إذ لم يسمح لهن بالخروج إلى الكُتاب،أو حضور المجالس العلمية.وتذكر المصادر:"الغالب في المرأة الجزولية أن تحافظ على صلاتها في دارها بواسطة المسمع من المسجد في البوادي."[26]وقد يرجع السبب في ذلك إلى وجود بعض الفتاوى الفقهية[27]التي تدعو إلى إجبار المرأة على المكوث داخل البيت وعدم مغادرته إلا بإذن زوجها،أو ولي أمرها.ولقد أنكر الحضيكي أيضاً،[28]خروج النساء متبرجات متزينات واختلاطهن بالرجال،معتبراً"المرأة

مصدراً للفتن والشرور،ونادى بوجوب ملازمتها للبيت،وعاب على نساء عصره إهمالهن لزينتهن داخل بيوتهن وتبرجهن إذا ما أردن الخروج."[29]ونفس الموقف تبناه مُحَمَّد بن علي السوسي،الذي قال:"ويجب على العاقل أن يمنع زوجته من الخروج في مثل هذا،فإذا خرجت للضرورة فليحملها على لبس محش الثياب وأغلظه وتجر منه خلفها شبراً أو ذرعاً للستر والمشي مع الجدارات لإجادة الطريق..."[30]وشدد أيضاً على منع النساء من الخروج إلى المساجد في الأعياد،بقوله:"من أقبح العوائد،التي يفعلونها في أعيادهم،أن يجمعوا الطعام في المسجد أو غيره،وهذا حرام...والغيبة بين الرجال والنساء،بقولهم:طعام فلان أو فلانة جيد،وطعام فلان أو فلانة رديء.وإياك أن تحضرهم،فشهادتهم ساقطة لأجل ذلك..."[31]وقد اعتبر صاحب كتاب"المزايا فيما أحدث من البدع بأم الزوايا"،خروج المرأة من البدع المنكرة،وذلك بعد معاتبته لأهل الزاوية الناصرية على خروجهم في رمضان لختم صحيح البخاري"في جمع يختلط فيه الرجال بالنساء،وهن متزينات متطيبات،واجتماعهم على تلك الحال صبيحة عيد المولد لتهنئة الأشياخ..."[32]

إن هذه الآراء المتشددة في نظرتها للمرأة،لم تكتف بمنعها من الخروج فحسب،بل حرمت كذلك من الاجتماع في المجالس والبيوت.وفي هذا الصدد،أنكر مُحَمَّد بن علي السوسي اجتماع النساء في المجالس،بقوله:"فيجب على العالم أن يمنع زوجته من الاجتماع بالنساء ليلاً تكتسب منهن العوائد الردية،لأن الغالب ذكر ذلك عند اجتماعهن،لاسيما في هذا الزمان الذي نحن فيه."[33] وامتدت القيود أيضاً لتشمل الأفراح والمناسبات،إذ هناك فتاوى فقهية تمنع على النساء الحضور في الولائم الجماعية.وقد سئل الفقيه عيسى بن عبد الرحمان السكتاني[34]"عن الطعام الذي يجتمع عليه الرجال والنساء مختلطين في المناسبات كالمواسم والأعراس.هل يجوز أكله،وهل تجوز شهادة وإمامة من يحضر تلك المجالس،ومن يترصد النظر إلى النساء.."[35]

لقد أدت هذه المواقف إلى عزل المرأة وتهميشها،فأصبحت الكثير من النساء تعيش في كنف الجهل والأمية.وقد أشار أحد الدارسين إلى انتشار الجهل والأمية بين نساء البادية،"فأغلبهن لا يعرفن القراءة والكتابة،وجاهلات بأمور الدين."[36]وورد على لسان مُحَمَّد بن علي السوسي:"أكثر الرجال لا فكرة لهم في الغالب إلا في صلاح دنياهم.وأما ما كان من أمر الدين فلا يفكرون فيه حتى يفجاهم الموت،فتجد الرجل

يتغافل عن زوجته،ولا يسئلها عن صلاتها ولا عما يلزمها في الشرع..."[37]وفي رواية أخرى:"واعلم أن النساء محتجبات وتربين في الجهل غالبا،بسبب ذلك فلأجل بعدهن عن العلم وأهله،واتخذن غالبا عوائد ردية قل أن تنحصر،خالفن الشريعة فيها..."[38]وتشير الروايات أيضا إلى قصة امرأة متعبدة اشتهرت بمداومتها على الصلاة،وحين سئلت عما تقرأ من الآيات والسور في صلاتها أجابت:بأنها لا تعرف أي آية،بل كانت تكتفي بترديد –بالحسانية–"ميمونة تعرف مولانا ومولانا يعرف ميمونة."[39]

ورغم كل هذه النداءات المناهضة لخروج المرأة من بيتها ومخالطتها للناس وتعلمها القراءة والكتابة،إلا أن هناك فقهاء لم يتناولوا خروج المرأة بصفة مطلقة،وإنما انصب موقفهم على خروجها في حالة التبرج،وفي هذا الإطار يقول الشيخ مُحَّد بن ناصري الدرعي:"وأما الخروج مع الستر فلا يضر."[40] وسئل أيضاً"هل يجوز للمرأة أن تأخذ عن بعض الأولياء بغير إذن زوجها أم لا؟.فأجاب:نعم يجوز لها ذلك."[41]وورد في"المزايا"،"من استأذنته زوجته في الخروج إلى المسجد فلا يمنعها."[42]وتسجل لنا النصوص أيضا،أنه كان يسمح للنساء بالخروج إلى المصلى يوم العيد،فقد جاء في إحدى الروايات:"...حتى كان يحفظها(خطبة العيد)النساء والصبيان والعبيد من كثرة تكرار سماعهم لها وحضورهم عندها."[43]

وإذ تأملنا في المراسلات التي كانت بين الأسر الشريفة والعلمية،سنجد بعضها تحمل خطابات تدعو إلى تعليم البنات المنتمية لهذه الأسر.مثل مُحَّد بن العربي الأدوزي،الذي راسل بنت بنته شيخ سيدي البشير بن عبد الرحمان التدرتي،وقد توفي أبوها عام 1308هـ/1891م،فكتب أسفل الرسالة ما نصه:"في العلم والتُقى ينافس الفتى في بنته أو أخته امض والسلام"[44]كما كان بعض الشيوخ يسمحون للنساء بتنظيم حلقات الذكر فيما بينهن شريطة عدم الاختلاط بالفقراء.وقد جاء في الروايات،أن الفقيرة الصالحة عائشة التونينية،"...مرةً غلب عليها حب الذكر،فإذا بها جاذبت الفقراء في الحلقة،فقام الشيخ بكل إسراع،فأخذ بها فألقاها في خارج الحلقة،فقال لها:أتريدين أن تجُري إلينا النساء الأخريات،فمتى رأتك النساء الشابات لا ينشبن أن يفعلن فعلك،فيختلط الحابل بالنابل،فيُنْهَتَكُ ستر الشريعة،فيجد الشيطان إلى الفقراء وإليهن الباب الذي يتطلبه دائماً."[45]

ومجمل القول،إن تعليم المرأة سيساعدها على تعلم أمور دينها ودنياها،وأن تكون خير ربة منزل،لأنها المدرسة الأولى للطفل تربيةً وتعليماً وتأديباً،فحروف الهجاء يتلقاها الطفل من أمه.وعن طريق العلم ستستطيع تدبير المعيشة وتسهيل الحياة على زوجها.وفي حالة إذا مات زوجها وأصبحت وصية على أولادها،أو تصرفت لنفسها تعرف ضبط ما هي مضطرة إليه حساباً وكتاباً لئلا يذهب مالها ومال المحاجير ضحية الجهل والغلط والنسيان.ويشير المختار السوسي إلى هذا الأمر،بقوله:"إن مستقبل الأبناء في أيدي الأمهات،فإنهن المدرسة الأولى والغارسات في الأذهان،وهي كما انبثقت علو الهمم،والشعور الحي..."[46]

3- مساهمة المرأة في تعليم النساء:

لقد ساهمت المرأة القروية العالمة في نشر العلم بين الفتيات سواء داخل الأسرة أو الدوار،إذ كانت تحفظهن القرآن وتعلمهن طرق التجويد،وقد أشار ابن الحاج إلى"اجتماع زوجة العالم بالنسوة لأن تعلمهن الأحكام."[47]وذكر عبد الهادي التازي:"ارتشاف المرأة من ينابيع العلم والمعرفة في كل مكان،في المسجد والبيت والنادي أو المجلس الأدبي،إذ يخصص للنساء مكان يتيح لهن حضور الدروس الدينية أو الأدبية أو غيرها،أو في دور خاصة بالنساء كانت تعرف"بدور الفقيهات".[48]

3-1 نساء معلمات في البيوت:

كانت المرأة تأخذ العلم عن طريق المرأة نفسها.[49]وفي ذلك قال الشيخ مُحَّد بن العربي الأدوزي:"لا يليق للنساء إلا النساء،فإن المرأة لا تنقاد إلا لمثلها."[50] وقد أشارت المصادر إلى تبادل الزيارات بين الصالحات لأغراض علمية،مثل تعزى بنت سليمان التي كانت تزور صحابتها"ولية الله تعالى سيدتي حواء بنت سيدي يحيا بن سيدي مُحَّد بن علي الرسموكي،زوجة سيدي إبراهيم بن مُحَّد ابن عبد الله بن يعقوب."[51]

عادة ما نجد داخل الأسر العلمية نساء معلمات يقمن بتعليم الأطفال والبنات،وتشير الروايات إلى يعزى أوهدى،الذي"كان لجدته من جهة أمه دور كبير في تربيته وتعليمه."[52]ويخبرنا الحضيكي في ترجمة الحسين بن مُحَّد الدرعي،بقوله:"أخذ الشيخ الورد على سيدي عبد الله بن حسين وتلقين الذكر وشقيقتي

عائشة(بنت مُحَّد شقيقة بن ناصر الدرعي).ووالدي أبي وأمي."[53]وقد ذكر مُحَّد المختار السوسي أن والدته السيدة رقية بنت مُحَّد الأدوزي:"تعتبر أول معلمة من النساء في إلغ،ومهذبة البنات في دارها،[54]فبها انتشر ما انتشر من ذلك فيهن...سمعت منها بادئ ذي بدء تمجيد العلم وأهله."[55]وتخبرنا ضرتها السيدة فاطمة،بقولها:"فقال لها الشيخ(علي الدرقاوي):إن شغلك الوحيد الذي جئت إليه هو تعليم هاتين البنتين خديجة وعائشة،فلازمت ذلك فكانت هي معلمة الدار،والمرشدة والواعظة للوافدات إلى الشيخ،حتى شدت تلميذاتها،فكن ربما يقمن بذلك الإرشاد الذي تعلمنه منها ومن أبيهن،وكان تعليمها للبنات مقصوراً على ما تيسر من القرآن وتعليم الكتابة والتهجي..."[56]ويذكر أيضاً المختار السوسي أن السيدة رقية كانت"تعلم أولادها في الطور الابتدائي،حتى توسط حزب (سبح)."[57]

لقد كانت زوجة الشيخ ماء العينين عالمة كبيرة محصلة،مشاركة مشهورة بالتفنن،"اتصلت بمريم الصحراوية،فربتها وعلمتها،وعلى يدها أحسنت تلاوة القرآن والتهجد. "[58] وفي سنة 1350هـ/1931م،انتقلت مريم الصحراوية مع زوجها مُحَّد سالم بن عبد الفتاح الشنكطي إلى إلغ،وهناك كانت"تعلم بنات آل الحاج صالح دار الأستاذ سيدي المدني بن علي..."[59]وقد شهدت نساء دار الأستاذ المدني بن علي:"أنها تبقى كذلك طوال الليل (...)،وقد اعتنت بأولادها وبناتها في التعليم."[60]وفي أواسط 1355هـ/1936م،شدت الرحال إلى تادلة لتستقر بزاوية الشيخ سيدي إبراهيم ابن البصير،لتعليم بناته،وهو ساكن في قبيلة أيت عياط.[61]

ولا ننسى أن للرجال أيضاً دوراً مهماً في تعليم البنات،بحيث كان بعض الفقهاء يسمحون للمرأة بأخذ العلم من غير الرجال من ذوي المحارم،"ولكن يتم ذلك من خلف ستر أو أن يكون الرجل ضريراً معروفاً بالعفة."[62]وفي هذا الصدد،أقام أحمد الصوابي مدرسة علمية كبيرة،تضم عدداً من الرواد،منهم الصغار الذين يحفظون كتاب الله تعالى ومنهم الطلبة الذين يعكفون على درس العلم،كالتفسير،والحديث،واللغة،والعقيدة،والمنطق.كما خصص جناحاً داخل المدرسة لتعليم أبناءه ونساءه.[63]ويخبرنا المختار السوسي،أن فاطمة أم هدوز الإيغبولائية،كانت"تسرق السمع على عادة النساء في كل عصر..."[64]وكان الفقير سيدي المؤذن من"واوكرضا"قرية من أعلى"ساموكن"،يعلم الصالحة عائشة

التونينية ومن معها من النساء الفقيرات.وقال الحاكي:"وكان يعرف المواعظ باللسان الشلحي،ويتقن مسائل الدين،فكان الشيخ يرسله إلى هذه الفقيرات ليعلمهن ما يحتجن إليه من أحكام الحيض،من غير أن يستحيين منه،لأنه كبير هرم مسن،وإن كانت صحته لا تزال متماسكة..."[65]

وقد ذكر الأستاذ سيدي أحمد بن عبد الله الإيجلاني المجاطي،قال:"استدعاني الأستاذ سيدي مُحَّد بن العربي،سنة 1310هـ/1893م،من المدرسة الأدوزية،فأمرني أن ألازم داره،وأن اعتكف فيها على تعليم بناته وأولاده...فخرجت إلي(رقية الأدوزية)في دراعة سوداء،وفي رأس لوحتها (يوم يفر المرء)(سورة عبس:الآية 34)وكانت تتعلم قبل أن تصل بها عند غيري،ثم دأبت عندي حتى ختمت سبع ختمات،وجودت غاية التجويد."[66]وورد في"رحلة جزولة"أن القاضي أبو بكر كان يعلم زوجته خديجة بنت مُحَّد من ءال التازونتيين الأقاويين ويرقي مداكرها.[67]وقد حفظت بنت الشيخ الصالح سيدي إبراهيم بن صالح التازروالتي،"كل القرآن،وكتبت دلائل الخيرات."[68]وقد توفيت قبل والديها بثلاث سنوات عذراء بكر.[69]

وبداخل البيوتات العلمية الصحراوية،تخبرنا الروايات،أن السيدة فاطمة الملقبة(حتوت)،بنت العالم سيدي عبد الله الملقب سيدنا بن ألفغ سيد بن محم بن القاضي العلوي من بلاد شنقيط،"تلقت العلوم على يد أبيها وإخوتها..."[70]إلى جانب الشيخ ماء العينين،كان عندما ينتهي من تعليم المريدين والتلاميذ المقيمين بزاويته،ينتقل إلى بيته"فيشتغل بتعليم أولاده ذكوراً وإناثاً..."[71]

وأخيراً يمكن القول،إنه في ظل غياب المدارس الحكومية،تحولت بيوت الأسر الشريفة والعلمية،إلى شبه مدارس،يتم فيها تدريس الفتيات والصبيان قواعد اللغة والكتابة،وأمور الدين.وقد انخرط في هذا العمل كل من المرأة والرجل.

3-2 نساء معلمات في الكُتاب (ليحضارْ):

كان إقليم سوس من بين المناطق المغربية التي بكر فيها ظهور المساجد،فمسجد ماسة مثلا " حضر بنيانه عقبة بن نافع."[72]وتخبرنا الروايات"لما رجع وكاك(بن زلو اللمطي)إلى سوس (في القرن 5هـ)بنى داراً

سماها(دار المرابطين)،بقبيلة أكلو،اشتغل فيها بالتربية والتعليم،وقصدها الطلبة من مختلف أرجاء سوس والصحراء،وهي أقدم مدرسة في البادية عرفت في تاريخ المغرب،كان من بين المتخرجين منها عبد الله ابن ياسين الفقيه المجاهد الشهير."[73]وتعتبر هذه المبادرة هي الإشارة الأولى للحركة التثقيفية بالجنوب المغربي.وغالبا يلتحق الإناث بالكُتاب أو(ليحضار)[74]في بلاد المغرب عامة،و في بعض المناطق من جنوبه خاصة،في سن يتراوح بين ست وسبع سنوات،وناذراً ما يلتحقن قبل هذا العمر،وخلال اليوم الأول تكون الفتاة مرافقة بوالدها وفي حالة غياب الأب أو وفاته،يرافقها أقرب الأقارب من جهة الذكور،الذي يكون مسؤولا عن العائلة،كالجد أو الأخ الأكبر،أو العم.[75]

كانت معظم الفتيات يغادرن التعلُم في مراحله الأولى،وكانت القليلات منهن من يواصلن تعليمهن إلى غاية حفظ القرآن،وتلقي العلوم الشرعية المدرسة بمسجد الدوار،لكن لم يكن يسمح لهن بمغادرة العائلة لتلقي العلوم في مساجد أخرى كما هو حال الذكور.[76]

وفي المناطق الصحراوية،كانت بعض النساء"المعلمات"تتفق مع مجموعة من الخيام"فريك"لتعليم أبنائهم مبادئ القراءة والكتابة مقابل أجر معلوم[77]"الشرط".[78]وتذكر الروايات أيضا أنه"لا تخلو خيمة صحراوية تقطنها أسرة عالمة،من مشهد يتمثل في جلوس صاحبة الخيمة ماسكة عصى من النخيل أو الجلد،وسط مجموعة من الأطفال ذكوراً وإناثاً يتلون ألواحهم المتضمنة لآيات قرآنية."[79]وقد لاحظ الوزان في عصره (القرن 16م) بمدينة تيشيت الصنهاجية أن"النساء هن اللائي يتعلمن ويقمن بدور معلمات المدارس للبنات والبنين."[80]وغالبا ما تتولى النساء تعليم الطفل الحروف بالترتيب الهجائي،[81]إلى تلقين القصص التاريخية إلى تدريس القرآن،إلى تحفيظ المتون وتفسيرها.[82]ومن النساء اللواتي اشتهرن في الصحراء فاطمتو منت نافع،من قبيلة إيداو علي،"حافظة للقرآن الكريم وفقيهة،وكانت تحفظ الصبيان القرآن،وتكتب لهم ألواحهم، كانت في شنقيط مع زوجها الشيخ مُحَمَّد من قبيلة العيايشة صاحب إحدى المحاضر الكبيرة."[83]ومنهن من تنقل بين القرى لتدريس القرآن الكريم،وخير كمينتو منت دلبوح من قبيلة آل بارك الله،"حافظة للقرآن الكريم،تنقلت لتعليمه بين مجالي تيرس ومدينة الداخلة."[84]

لقد كانت بعض الأسر الصحراوية تحرص على تعليم أبنائها عند النساء العالمات،نموذج ميمونة بنت عبد الفتاح،[85] شقيقة العالم مُحَمَّد سالم ولد عبد الفتاح،الشاعر العلوي الشنكطي[86] حيث يحكي أحد الحافظين على يديها القرآن الكريم،[87]"أن والده كان يحرص على أن يحفظ أبناؤه القرآن عندها."[88]إذ كانت تعلم الفتيان والفتيات التجويد. والقاعدة العامة هي أن وراء كل رجل عالم امرأة،مهدت له السبل إلى الالتحاق بالمحضرة في مرحلتها المتوسطة أو العليا.[89] وتسجل الروايات التاريخية أيضا أن بعض الزوجات كن يدرسن تلاميذ أزواجهن في فترات غيابهم،وعلى سبيل المثال،صفية منت سيد أحمد،من قبيلة آل بارك الله في منطقة وادي الذهب، كانت تدرس تلامذة زوجها في حال غيبته عنهم.وقال العلماء في زمنها:"لو كانت النساء تقضي كانت صفية هذه تقضي."[90] وخجو آمنة بنت علي الحسانية الصنهاجية،روي عنها"كانت فقيهة محدثة تهتم بشؤون النساء قريتها وتعلمهن،تزوجها الشيخ عبد الله الهبطي،لتقوم بتعليم النساء في زاويته بالجبل الأشهب،ويتفرغ هو لتعليم الرجال وتربيتهم."[91]

ونستنتج من ما سبق أنه رغم الظروف العامة التي كانت تحول دون تمدرس الفتاة بالجنوب المغربي،فإن منهن من لم تكن حبيسة الجدران،بل كان يسمح لهن بالالتحاق بالمكاتب القرآنية لحفظ القرآن وتعلم الكتابة على الألواح،وغير ذلك،كما هو الشأن بالنسبة للذكور وإن كان عددهن أقل.

3-3 واعظات ومرشدات داخل مجالهن القبلي:

تعد المحضرة[92] في الصحراء جامعة شعبية،دورية متنقلة،تلقينية،فردية التعليم،طوعية الممارسة،تستقبل كل من يرد عليها من جميع المستويات الثقافية،والفئات العمرية والجنسية والاجتماعية،ويرتادها الطفل والشيخ والمرأة.[93] أما في سوس وجزولة فإن النساء تأخذن العلم من الزوايا.[94] وذكر صاحب"المزايا"أن أهل الزاوية الناصرية يسمحون بخروج النساء إلى الجوامع،"في رمضان لختم صحيح البخاري في جمع يختلط فيه الرجال بالنساء. "[95] وجاء على لسان المختار السوسي أن:" نساء عجائز كن يأتين من بعيد إلى(تاماشت)(إداوبعقيل)وكن صالحات يحضرن وعظ نساء الواعظات المرشدات وما أكثرهن إذ

ذاك"[96]وورد عند الكرسيفي،"اجتماع النساء على ذكر الله تعالى رافعات أصواتهن،بحيث يسمعهن الرجال..."[97]

وقد اشتهرت تعزى بنت الفقيه عبد العزيز،زوجة سيدي صالح من(أفلا أوكنس)"بالدين والوعظ والصلاح،فكانت الوفود تترى إلى منزلها(...)توفيت سنة 1288هـ/1871م."[98]وكانت الإيغشانيات والوفقاويات والمجاطيات ،من جبال جزولة، يأتين فاطمة بنت سعيد بن سليمان للزيارة،"فَتَعِظُ وتُرْشدْ"،[99]توفيت سنة 1290هـ/1873م."[100]وجاء على لسان والد العلامة المختار السوسي(الشيخ علي الدرقاوي):"كنا في زاوية الشيخ(الإلغية)فخرجت الفقيرة فاطمة موهدوز الشهيرة بالكرامات،فصارت تعظُنا وتذكرنا..."[101]

ولم تقتصر العالمات على الوعظ في مجالهن القبلي بل كان منهن من تجاوزته بفضل صلاحها وثبوت علمها وذيوع صيتها .فقد كانت الفقيرة الصالحة عائشة التونينية، تجول في القرى"لتعلم النساء على حدة ما يحتجن إليه من أمر الدين،وعقائد التوحيد..."[102]وفي هذا الإطار تخبرنا المصادر أنها"كانت تجمع الفقيرات وتعظهن وتعلمهن وتهذبهن،لأن لها إلماماً بأمور الدين..."[103]كما كانت عائشة الجشتمية زوجة الفقيه سيدي عمر الأكضي معروفة مشهورة :" وإن كان الذي أعلى شأنها وأعلى كعبها هو صلاح ومواعظ،وإرشاد نافع تعمر بها أوقاتها."[104]وفي رواية أخرى:"وهي كالنجم الثاقب في قبيلة أملن،ترد إليها من يسألنها عن أمور دينهن،وكانت مثوى الوافدات من النساء جماعات جماعات،كما تخرج هي إلى ديارهن وافدة وهي رافعة علم النصح،وقد شهد كل جيران قبيلتها أنها فريدة في نوعها،فهي تعلم الدين وعقائد التوحيد،وتجول في التصوف،وتملي من الكتب العربية والشلحية."[105]

وتشير الروايات أيضاً إلى السيدة رحمة بنت عبد الله بن مُحَّد التكناتيني(نحو 1335هـ/1917م)،زوجة إبراهيم بن مُحَّد بن إبراهيم الجشتيمي .[106] إلى جانب عائشة بنت الطيب الأغرابوئية الإكمارية(بعد1344هـ/1926م)،التي"حفظت بعض القرآن وتتصدر مجالس النساء،وتملي عليهن وتعلمهن وتعظمهن،وأحوالها كلها محمودة،ولا نظير لها في سوس في عصرها."[107] وجاء في المعسول أيضا،أن تاكدا بنت سعيد،أنها"لا تفارق الإرشاد لكل من لقيته،وتؤثر عنها مواعظ وحكم..."[108]

واشتهرت النساء الشنقيطيات بتصدرن للمشيخة المحضرية،فكن يدرسن الطلبة والطالبات ما يدرس كبار المشايخ.[109]وغالب النساء يصرفن اهتماماً زائداً إلى دراسة السيرة النبوية الشريفة.[110]وقد كانت خديجة بنت العاقل تدير محضرة تخرج منها علماء أجلاء،مثل أخيها أحمد بن العاقل.[111]

وإذا وقفنا عند العلاقة بين الشيخة (الأستاذة) والمريد،سنجدها مبنية على الحب أكثر منه على السلطة.[112]نموذج الشيخة فاطمة بنت مُحَمَّد الهلالية،من بني علا الهلالية،التي كتب إليها الأستاذ مُحَمَّد بن صالح الملقب بالمعطي البوجعدي،"يسلم عليها ويطلب منها الدعاء."[113]وكذلك كانت تربطها علاقة حسنة مع تلميذها مُحَمَّد واعزيز السباعي.[114]

ومجمل القول،إن إصرار المرأة القروية بالجنوب المغربي،على بلوغ الدرجات العليا،وترقي في سلالم العلم،خولها أن تبلغ مرتبة العالمة المتفقهة في العلوم الشرعية،بعدما كانت مربية ومعلمة.وهكذا أصبحت واعظة ومرشدة تتصدر حلقات الذكر الخاصة بالنساء.

3-4 إسهام الطرق الصوفية في تأطير المرأة:

ومادمنا في صدد الحديث عن تاريخ التعليم غير النظامي للنساء القرويات بالجنوب المغربي،لابد أن نشير هنا إلى دور الطرق الصوفية ومساهمتها في تعليم النساء.وخير مثال على ذلك،الطريقتين الدرقاوية والناصرية،اللتان كان لهما الفضل في تأطير المرأة وتفعيل دورها في العطاء في مجالات مختلفة.[115]وقد حشر المختار السوسي الصوفية ضمن رجالات العلم في سوس،وعد منهم جملة من النساء.[116]وقد اشتهرت عائشة التونينية بخدمة فقراء الطريقة الدرقاوية،إلى جانب وعظ الفقيرات وتعليمهن.[117]إلى جانب السيدة خديجة قرينة الشيخ الصالح سيدي إبراهيم بن صالح التازروالتي،وهي أكبر بنات سيدي مُحَمَّد العربي الأدوزي."ممن اعتنقوا طريقة الشيخ الإلغي كزوجها."[118]وقد قال عنها المختار السوسي:"كانت خالتي زوجة سيدي إبراهيم بن صالح ترد معه إلى زاوية الوالد،وهي أيضاً من صواحبه والمعتقدات فيه اعتقاد المريدين في شيخهم...ثم لم تكن تنقطع عن الزاوية مع زوجها الذي يرد مع طائفة كبيرة ممن أخذوا من يده الطريقة."[119]

وإذا انتقلنا إلى الصحراء سنجد السيدة فاطمة(حتوت)،قد"أخذت ورد الطريقة التجانية على زوجها الشيخ مُحَمَّد الحافظ،ولازمته حتى توفي،وكانت عابدة فاضلة،لها مشاركة في علوم كثيرة."[120]وهكذا اجتذبت الطرق الصوفية معظم المنخرطات في سلك التصوف.[121]إذ لم يكن انخراطهن في طريق القوم مجرد "تصوف عجائز"،[122]،ذلك أن منهن من كانت تخوض في علوم لا يعرفها إلا السالكون.

4 فقيهات سوس والصحراء:

يزخر الجنوب المغربي بمجموعة من النساء العالمات المنتميات إلى عالم التصوف والصلاح،اللائي تخصصن في العلوم الشرعية كالفقه،وعلوم اللسان كالشعر،وعلوم الأوائل مثل الطب.[123]لذلك حظين بالاحترام والتقدير وبالاعتراف بصلاحهن وبركاتهن.[124]وقد ذكر ابن الحاج:"ولا يظن ظان...بأنه ليس في النساء صالحات ولا عابدات."[125]وحسب رأي أحد الدارسين:"التصوف سمح للمرأة أن تحقق ذاتها،واعتلاء مكانة لم تأخذها في حقول أخرى،بفضل ما وصلت إليه من التدين والإخلاص والسلوكات الصوفية."[126]

4-1 فقيهات سوس:

انخرطت نساء سوس في مجالات مختلفة من تعليم،ونسخ للمؤلفات،وإفادة بالكتب.[127]ومن بين قبائل المنطقة التي اشتهرت بنساء عالمات،هناك بعقيلة،وسملالة،وأمانوز،وماسة،وإلغ...[128]وقد ذكر مُحَمَّد المنوني في بحثه عن"المؤسسة التعليمية الأولى بسوس"أسماء بعض الفقيهات والعالمات بسوس.[129]ويقال بأن هناك"جناحاً خاصاً للنساء الحافظات المدونة،في القرن السابع الهجري،بمقبرة الكرسيفيين،في قبيلة أمانوز."[130]وقد أشار المختار السوسي إلى"خمسمائة صبية ممن اتفق اسمهن مماس،فضلاً عمن يسمين بغير هذا الاسم حفظن القرآن والمدونة."[131]

ومن النساء من مارست مهنة الطب،مثل فاطمة بنت سيدي سليمان الكرامية(1153هـ//1740م)،"من فُضَيْلَيات النساء المقصودات كرماً وانابةَ وصلاحاً."[132]إذ"تعالج بياض العين والقروح والدمامل، وجرح وحزازة...ومن بركاتها:أن كل مريض أتى إليها ووصفت له دواء فاستعمله فإنه يبرأ عاجلا."[133]وتعمل

كذلك على"تيسير وضع النساء النفساء،"[134]أي أنها جمعت بين ثلاثة تخصصات طبية وهي:طب العيون،وطب الجلد،وطب الولادة.وورد في المصادر أيضاً أخبار عن نساء الوراقات في سوس،وعلى سبيل المثال،رحمة بنت مُحَّد بن سعيد المرغيتي الأخصاصي السوسي دفين مراكش عام 1089هـ/1678م، قد"كانت فقيهة وعالمة...[135]وألفت برسمها مختصراً فقهياً مبسطا."[136]وهذا يدل على أنها كانت على درجة من الثقافة.كذلك عائشة بنت الحاج مبارك الشلح بن أحمد بن الحسين النتكي(المتوكي)،الغشي الحسنوي،عام 1245هـ/1830م،كانت تكتب بخط مغربي يدوي واضح متوسط ملون،مشكول في بعض منتسخاتها،حيث يعرف –الآن–منها ثلاثة:"مصحف شريف"،كتب في آخره باللون الأحمر.و"مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات،"اسم الشرح الصغير لدلائل الخيرات للجزولي.و"مدارك التنزيل،وحقائق التأويل"،اسم تفسير القرآن الكريم لعبد الله النسفي في سفرين.[137]وكانت تذيل عملها (الخط) بعبارات بليغة،من ذلك ما ذيلت به المصحف الذي خطته،بقولها:"كَمُل(...)بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل،على يد خديمة ربها الضعيفة(...)،غفر الله لها ولوالديها،ولمن نظر في خطها،ولجميع المؤمنين والمؤمنات،والمسلمين والمسلمات،الأحياء منهم والأموات،اللهم اجعل آخر كلامنا:لاإله إلا الله، مُحَّد رسول الله."[138]ولابد من الإشارة كذلك إلى زوجة الشيخ سيدي إبراهيم بن صالح التازروالتي،السيدة خديجة وهي صوفية كبيرة المقام كزوجها،التي"كانت حافظة القرآن تخط بيدها الكتب..."[139]مثل"دلائل الخيرات."[140]

وبقبيلة إيلالن هناك العالمة فاطمة توغْلات–بتفخيم اللام–الهلالية[141](1207هـ/92–1793م)"لها شهرة إلى ما وراء الحوز،يراسلها بعض أكابر تلك الجهات،لها منظومات شلحية."[142]ووصفها الحضيكي"برابعة زمانها،كانت من الصالحات القانتات الصابرات الخاشعات،قد انتشر صيتها،وعم بلاد سوس والغرب،وفشا وذاع ذكرها بالولاية والصلاح عند الخاصة والعامة في جميع الناس."[143]ووصفها تلميذها مُحَّد بن عمر السوسي اليبوركي"بالفقيهة العالمة السالكة".[144]وتخبرنا الروايات"أنها تحضر مع الأولياء الصالحين والصالحات في بيعة بعض ملوك المغرب قبل بيعة أهل الظاهر بمدة."[145]

وكانت فاطمة بنت سعيد"ممن يؤثر عنها ما يؤثر عن الصالحين من استجابة الدعوة،وسمو الهمة،والإرشاد حتى صارت تنتابها الإيغشانيات والوفقاويات والمجاطيات بالزيارة،فتعظ وترشد...."[146]وتحتفظ لنا المصادر

كذلك بأخبار بعض العالمات المتفننات الحافظات،مثل السيدة الغالية بنت إبراهيم السباعية(1305هـ/1888م)،"تخرجت بوالدها،وكانت تعلم القرآن،وقد أتقنت حفظه،كما حفظت مختصر الخليلي،وألفية ابن مالك،وغيرها من المتون المعتاد حفظها،وكان لها باع في العربية والفقه والفرائض،وما إلى ذلك مما يتداول."[147] ومن الفقيهات أيضاً،عائشة بنت الطيب الأغرابوئية الإكمارية، توفيت سنة 1336هـ/1918م .[148] فقد اشتهرت بالفقه،وأتقنت مترجم(المختصر)للهوزالي بالشلحة،وكانت تملي على زوجها الفقيه سيدي مُحَّد بن عبد الله،ومما وقع له يوماً"أن أناساً كانوا يختلفون إليه في قضاياهم يستفتونه فيها،فتحير في فهم مسألتهم،فصرفهم إلى الصباح،فدخل فقالت له زوجته:إن مسألتك قريبة، وقد استوفاها الهوزالي غاية الاستيفاء،فخرج فنادى أصحابة من قريب،فبين لهم المسألة كما هي."[149]

وقد وصف العربي بن إبراهيم الأدوزي زوجته السيدة عائشة،ابنة أحمد بن مُحَّد بن يحي المعدرية،بقوله:"المرضية عند الخاصة والعامة،اللينة الأكناف،التي لا أظن يوجد مثلها في حرائر الأشراف."[150]وكان للأستاذ ابن العربي بنات يتعلمن،وانجبهن فتاة تسمى رقية،وقد"استظهرت القرآن دون إخواتها..."[151]وقد دفعها أبوها إلى الدراسة الواسعة في ميدان العلوم،بعد أن أتقنت حفظ كتاب الله .[152] وعندما زفت إلى دار زوجها حملت معها لوحتها،وفي ذلك يقول المختار السوسي:"فركبت(بغلتها)ولوحتها معها، كرمز لكونها لا تزال تتعلم،وقد كان والدها ذكر ذلك لزوجها..."[153]وذكر نفس المصدر أنها كانت"ممن يداعبون الأقلام،ويناغون الدفاتر."[154] .

وصفوة القول،إن أهل سوس يحترمون المرأة العالمة ويقدسونها،لذلك نسبوا مجموعة من المدارس إلى نساء العالمات والصالحات بالمنطقة.مثل السيدة تعزى السملالية،بنت مُحَّد بن علي ،التي بنيت مدرسة على مشهدها،وذلك تعظيماً لقدرها ومكانتها.[155]وكذلك المرأة الصالحة السيدة مُوزايتْ،التي حملت المدرسة اسمها،ويقال:"إنها من أوائل المسلمات في جزولة هي وأختها"تاكاترت"،التي بنيت عليها أيضاً مدرسة أخرى في وادي الأكماريين،وذلك ذائع وشائع."[156]وبعد وفاة السيدة ماماس في أواخر العقد الثاني من

الثاني عشر،شيدت القبيلة حول ضريحها مدرسة.[157]إلى جانب السيدة المرابطة عائشة بنت مُحَمَّد الوافتني،التي تنتسب إليها(مدرسة تاكرامت)بإدوسكا إيزادار.[158]

4-2 فقيهات الصحراء:

لقد أقبلت المرأة الصنهاجية[159]على العلم والتعلم،على عادتها في الصحراء،وسهر البعض منهن على نشر العلم والأدب،ورعاية العلماء والأدباء مادياً ومعنوياً.[160]وقد احتفظت لنا المصادر بأسماء نساء شهيرات تألقن في مجال اللغة،والشعر،والتاريخ والأنساب.[161]ومعلوم أن النساء المرابطيات تنافسن على الفوز بأمداح الشعراء،كما يبدو من قصة القاضي الأديب الذي مدح حواء بنت تاشفين زوجة القائد المرابطي المشهور سير بن أبي بكر الذي ولي إشبيلية مدة 24 سنة.[162]ويبدو أن نساء البلاط كن في معظمهن متعلمات مثقفات وشاعرات،جمعن بين العلوم الدينية والأدب،[163]أمثال الحرة زينب النفزاوية التي اشتهرت بالعلم والرياسة.[164]وكذلك خناثة بنت بكار،سيدة شنقيطية من بيت الإمارة البركني،تزوجها السلطان مولاي إسماعيل سنة 1089هـ/1679م،فأنجبت له مولاي عبد الله،"موصوفة العلم،لها تقييدات على هامش الإصابة لابن حجر،[165]وكانت تناظر العلماء."[166]

وتشير الروايات أيضا إلى خديجة بن مُحَمَّد العاقل(ق12هـ)،عالمة جليلة،شيخة محضرة،"أخذت عن والدها وأخذ عنها علماء أجلاء منهم أخوها أحمد والمامي عبد القادر والمختار بن بونه."[167]إلى جانب السيدة فاطمة(حتوت)،"ترجمت لزوجها وشيخها الشيخ مُحَمَّد الحافظ في قصيدة من الشعر الزجلي،ذكرت فيها شيوخه ورحلته إلى الحج وأخلاقه وشمائله وغير ذلك مما يتعلق به،وتوفيت رحمها الله عام 1261هـ/1845م."[168]ومن اللازم الإشارة أيضاً إلى رقية بنت الحاج ابن العيش اليعقوبية،وخديجة بنت مُحَمَّد العتيق الشنكيطي،وربيعة بنت الشيخ مُحَمَّد الحضرمي حفيدة الشيخ ماء العينين.[169]وكذلك السيدة صفية بن المختار،كانت عالمة بالتجويد،والتفسير،والسيرة،والنحو،وكانت مدرسة.[170]وتسجل النصوص أن(منه بنت أحمد بن خليفة) الشنقيطية قد بلغت مرتبة القضاء.[171]

وقد أحصى الباحث ومؤرخ لأدب عباس الجراري عدداً من نساء الصحراويات المشاركات في الحركة العلمية،ومن هن: هند زوج الشيخ ماء العينين،وكانت عالمة مشاركة.[172]إلى جانب السيدة الغالية بنت إبراهيم السباعي،وزوجة العلامة الحسين بن مُحَّد الكاهيا الجراري أحد تلامذة الكثيري،بالحوض في الصحراء.[173]كما ذكر المختار السوسي مريم الصحراوية نحو (1316هـ – 1357هـ/1898-1938م)،كان"لها وراء إتقان حفظ القرآن يداً حسنة في العلوم.وكان لها في تلاوة كتاب الله العجب بغنتها الصحراوية الحلوة."[174]وورد أيضاً في المصادر السيدة(مريم مانه بنت اللا)تحفظ القاموس،إلى جانب فتيات تنيكي يحفظن الموطأ.[175]وتخبرنا الروايات أن"كل من كان في كردوس من قبائل الصحراء تعلموا اللغة الأمازيغية."[176]وفي هذا الصدد يقول شيبة ماء العينين:"كان عند جدتي دفاتر يكتب فيها النساء هذه اللغة..."[177]

نستخلص من ما ورد ذكره سابقاً،أن الانتماء للبيوت الشريفة،أو العلمية،ساعد الكثير من النساء في تجاوز مرحلة التعليم الأولي،ومصاحبة العلماء الكبار،وهذا لم يكن متاحاً لجميع النساء.إذ لم ترد أي إشارة تفيدنا،بأن نساء اللائي ينتمين إلى طبقة العامة،قد تجاوزن مرحلة المسيد،أو الكُتاب.لكن لنساء العامة فضل كبير في استمرار العلم في سوس والصحراء،فهن العمود الفقري الذي قامت عليه المدارس رغم ضعف نصيبهن من العلم فقد كن يتعهدن المدارس وروادها بالعناية والرعاية.

5 التكافل الاجتماعي داخل المدارس العتيقة"بصيغة المؤنث":

لقد رأينا سابقاً كيف أقبلت المرأة على العلم والتعلم،ونشر العلم والأدب ورعايتها للعلماء.لذلك سنشير في هذا المحور إلى مظاهر تكافل الاجتماعي داخل المدارس العتيقة،ولكن من منظور"صيغة المؤنث".وما هو شائع ودائع بالجنوب المغربي أن المدارس بالمدن تمول من الأحباس،[178]بينما المدارس بالبادية تمول بأعشار وصدقات القبائل.[179]فحين تبقى مساهمة المخزن في هذا الجانب شبه غائبة،وفي ذلك يقول المختار السوسي:"فلا يتعرضون (السلاطين) لبناء جامع أو مدرسة ولا مكتب ولا زاوية إلا لغرض من أغراضهم..."[180]

جرت العادة في سوس أن تتوفر كل قرية على مسجد صغير،فسكانها يقومون به من جميع النواحي.[181]وجاء في نوازل العباسي،سؤال يتعلق ب"امرأة أوصت بثلث مالها للمسجد،وثلث لأولاد أخيها،وثلث لورثتها،ووضعت الوثيقة بيد أمين..."[182]وتخبرنا النوازل أيضا أن المرأة كانت تؤدي أجرة المعلم"الشرط"،[183]إلى جانب الرجل،كما هو الحال في هذا السؤال،الذي سئل فيه ابن الدرعي،"عن تنقل المعلم أثناء العمل،مشاركة المرأة في أداء أجرة المعلم المنتصب للإمامة..."[184]وتسجل النصوص أن المرأة المسكينية كانت"تقوم بدورها أحسن قيام في كل ما يلزم الجماعة،من أداء شرط إمام المسجد،أو أستاذ مدرسة القبيلة،ممثلة في مؤونة طعامية أو نقدية."[185]وعادة ما تشتمل حصة الفقيه من"الشرط"على الأقل،"خبزة في الغذاء وأخرى في العشاء".[186]وقد أشارت المصادر إلى"علام النوبة"[187]الخاص بإطعام فقيه المسجد.[188]وذكره المختار السوسي،بقوله:"وأما مؤونته اليومية فإنها على جميع السكان، كما هي عادة بادية(المغرب)جمعاء،غذاء وعشاء-وهجوريا[189]في الغالب-في إناء صغير من الفخار له غطاؤه منه،ويوضع في طبق صغير مقعر يصنع على مقداره،ولا وجبة وسط النهار عندنا في هذه الجبال،نعم كانت عند بعض القبائل(الأزغارية)،وعهدي بأهل(إفريان)يأتون إلى الطالب عند الظهر بخبزتين أو ثلاث رقاق،مع سكرجة فيها زيت أركان،ثم لا أدري أذاك عام دائما،أم إنما يكون في بعض الأزمنة المخصبة،وذكر لي أن في بعض قرى(بعقيلة)و(سملة)تعطى للطالب وجبة نصف النهار أيضا...وعهدي بأهل قريتنا يعتنون بطعام الطالب عناية تامة،فتجد النساء يهيئن إداما ولحما إن تيسر ليوم نوبة الطالب،ولكن ذهبت تلك النيات بذهاب ذلك الجيل."[190]

ولتشجيع الأطفال"إمحضارن"[191]على التعلم،كانت بعض النساء ترسل الطعام لهم إلى الكُتاب،وفي هذا الصدد سئل العباسي،"عن معلم الصبيان هل يأكل من الطعام المصنوع لهم لا لغيرهم..."[192]وورد أيضا في مسائل ابن هلال التي رتبها أبو الحسن اللحياني التمنارتي نزيل درعة،سؤال:"عن ما يأت به الصبيان للمكتب من الطعام عند ختم بعضهم البعض سور القرآن التي جرت العادة يصنع الطعام عند ختمها، هل للمعلم أن يأكل منه...؟"[193]وقد ورد في المصادر معلومات تتعلق بحماية المرأة المتصوفة لطلبة العلم،إذ كتب الحضيكي في طبقاته عن الولية المشهورة تاعلات،بقوله:"فاطمة بنت مُحَمَّد من بني علا الهلالية، رابعة

زمانها..."[194]ويقام عند ضريحها في الخميس الأول من شهر مارس الفلاحي،يحج إليه طلبة المدارس العتيقة المجاورة(شتوكة قرب أكادير)،لترتيل القرآن وإحياء ليالي الذكر.[195]وتسجل الروايات أيضا خدمة زوجات المتصوفة للزاويا،مثل الأنصارية حفصة بنت عبد الله تزوجها الشيخ مُحَّد ابن ناصر،ويقول أحمد بن خالد الناصري:"وما كان مراد الشيخ...بتزوجه إياها إلا القيام بأمر الزاوية."[196]كما تطوعت ميمونة التامكروتية بخدمة"زاوية تامكروت"طيلة حياتها،وساهمت بشكل فعلي في تنظيم وتسيير أمورها،فقد"تولت حيازة أحباس سيدي أحمد بن إبراهيم،وتفريقها على طلبة العلم،والزوار والأضياف،وأبناء السبيل إلى أن ماتت."[197]وكذلك تاكدا بنت سعيد،التي كانت تحب الطلبة وتفضلهم على فقراء الزاوية،إذ يخبرنا المختار السوسي،بقوله:"أقامت حفلة في دارها،فاستدعت الطلبة أولاً،وأخرت الفقراء المنقطعين عند ولدها الشيخ في الزاوية عمداً."[198]

وغالباً ما يتم إطعام الطلبة داخل المدارس عبر استئجار خادمة(تويا ن لمدرست) لتقوم بهذه المهمة.[199]وإذا كانت المدرسة لا تتوفر على خادمة،فالطبخ يكون مناوبة بين نساء القبيلة،"فتأتي الدار التي فيها النوبة،لتأخذ الحبوب من هري المدرسة،فتهيؤوها خبزا أو كسكسا،[200]ثم تأتي به إلى المدرسة."[201]وجرت العادة أن الأسر تحضر وجبة بعد صلاة العصر(واوزويت، أو واوزدويت)،[202]يكاد يكون الإتيان بها فرضاً على كل دار من دور القبيلة،فمن تأخر في ذلك تطبق عليه الأعراف الموضوعة في ذلك.[203]ومن العادات التكافلية أيضا،عادة"الرتبية"،إذ تتكلف كل أسرة بطالب غريب"مسافر"،[204]فتزوده يومياً بما يلزمه من طعام.[205]وتخبرنا المصادر،أن وزة بنت بيروك المنابهية-ولعلها تصغير الزهرة-زوجة الباشا حيدة،"كانت لا تنفك عن إيلام الولائم للطلبة في كثير من المناسبات،فأوعز إليها قاضي سوس"سيدي الفاطمي الشرادي الفاسي"،بأن تقوم بإطعام طلبة مدرسة الجامع الكبير(تارودانت)،فقامت بذلك خير قيام،إذ ترسل إليهم في الصباح قلة عظيمة من الحريرة(حساء)،وترسل إليهم عند الغذاء قطعة من الكسكس،ومثلها من العصيدة[206]بالزيت واللبن في المساء،زيادة على ما تنفحهم به،الفينة بعد الأخرى،من ذبح الثيران،وإرسال الدراهم وغير ذلك،فكفت الكثير من الطلبة الآفاقيين المحتاجين للطعام،زيادة على أنها تعطي لبعض الطلبة

المشتغلين بغير القراءات من العلوم خبزتين كل يوم."[207]وكانت نساء الدوار كذلك تتناوب على احضار الحطب الذي تحتاجها المدرسة للتدفئة أو الطهي.[208]

جرت العادة في سوس أن طلبة المدارس ينظمون أيام"نزاهْت ن طلبة"،حيث يطوفون على القبائل لجمع الصدقات،وتسمى هذه العادة محلياً ب"أدوال"،[209]وقد ذكرها المختار السوسي،بقوله:"جولة سنوية ينظمها إنفلاس لفائدة الفقهاء وكبار الطلبة،في أعقاب موسم الجني والحصاد والدراس،بغاية المبالغة في إكرامهم والاحتفاء بهم،ولا يسمح للمشاركة في هذه الجولة إلا لمن حفظ القرآن الكريم برواية ورش على الأقل.وتتناوب مختلف أفخاذ القبيلة على استضافتهم بطريقة تسمى "أدوال"."[210]وبهذه المناسبة كانت النساء تعطي الصدقات للطلبة،ملتمسين منهم الدعاء،باعتبارهم من حملة القرآن،لذلك كن يعتقدن أن دعاءهم مستجاب.وقد أشار المختار السوسي لذلك، بقوله:"...وهم ينتقلون من قرية إلى قرية،والناس يقومون بضيافتهم أحسن قيام،بكل ما يعملون،أنهم يكرمون به حملة القرآن الكريم،والهدايا من أفراد القبيلة تقدم من غير طلب،والنساء يوالين مما تحت أيديهن عليهم،تطلباً للدعوات،واستدراراً للبركات،وقد جرب عندهن وعند غيرهم،أن الدعاء في مجمع الطلبة مستجاب."[211]ومن العوائد أيضا،في"العواشر"،[212]"يحملون لوحة مزوقة بآيات القرآن،ويغلفونها بزيف أحمر أو أرقط،فيجعلونها فوق قصبة،فيحملها أحدهم،فيدورون أمام الديار بقفة كبيرة يضعون فيها الزرع الذي يعطى لهم من الديار،والنساء يتبركن باللوحة،والتلاميذ يرفعون أصواتهم بنشيد خاص،لهذا الموقف فيه تمجيد القرآن وحملته."[213]

وختاماً يمكن القول،ورغم إقصاء المرأة القروية وحرمانها من ولوج المدارس العتيقة ،إلا أنها لم تتأخر في تلبية الواجب،الخاص بدعم المدارس العتيقة.وذلك بإعانة الطلبة،حسب المستطاع.

خاتمة:

إن العقليات الذكورية المتشددة وهاجس إنعدام الأمن،كانا سبباً في حرمان العديد من النساء القرويات الفقيرات من التعلم،إذ لم تسلم منهن إلا اللائي نشأن داخل البيوت الحاكمة،أو الشريفة،أو العلمية.رغم وجود دعوات صادرة من بعض الفقهاء،تحث على تعميم التعليم بين جميع النساء في الحواضر والبوادي.ولقد رأينا،أن المرأة لم تبق مكتوفة الأيدي،بل تحدت الصعاب،وبدلت كل ما بوسعها لتتحرر من الجهل،وتثقف نفسها بنفسها.فقد انتقلت من المربية والمعلمة داخل البيوت،إلى واعظة ومرشدة في الزوايا.كما تخرج على يديها مجموعة من العلماء الأجِلاء.

وقد تمت الإشارة كذلك،إلى إسهام المرأة الفقيهة والصوفية في تنوير مجموعة من النساء القرويات،في مناسبات عديدة،خاصة في المواسم،وكذلك عند تنظيم حلقات الذكر.وبفضل ذلك تعلمت الكثير من النساء أمور دينهن،وأصبحن يعرفن ما لهن وما عليهن.إلى جانب انخراطهن في الطرق الصوفية،التي يسرت لهن طريق العلم،ومصاحبة العلماء الكبار.

وخلاصة القول،إن مسألة تعليم المرأة القروية في المغرب عامة،وجنوبه خاصة،قد تحسنت بشكل لا يتطرق إليه أدنى شك منذ منتصف القرن 20م،حيث أصبح اليوم حال البنات أحسن من حال الأمهات والجدات،ومازال التطور مستمراً بشكل واضح إلى يومنا هذا،خاصة في الحواضر وما الأعداد الكبيرة للفتيات اللواتي يلجن الجامعات والمعاهد العليا والمدارس المتخصصة حتى فاق عددهن عدد الذكور في كليات الطب والهندسة إلا دليل على ذلك التطور .وقد استطاعت نخبة من النساء أن تخلد ذاتها وتفرض إنتاجها،في كل القطاعات العلمية والاقتصادية والاجتماعية.

---

[1] "يخلص ابن حزم (1064/456)، إلى تعريف جامع للعلم، مفاده أن كل "ما عُلم فهو عِلم"". أنظر: رسالة مراتب العلوم، رسائل ابن حزم، ج 4، ص 81.

[2] سورة العلق: الآية: 1.

[3] مسعود البغوي، بشرح السنة، تحقيق: علي معرض وعادل أحمد، ط 1، دار الكتنب العلمية، بيروت، 1992/1412، ج 1، ص 231.

[4] سورة المجادلة: الآية: 11.

[5] الحجوي،مخطوط تعليم الفتيات لا تحرير المرأة، مخطوط، خ. ع. ح 237، ص 4.

[6] حنا الفاخوري، منتخبات الأدب العربي، المكتبة البوليسية، بيروت، (د.ت)، ص 536.

[7] الحجوي، إصلاح التعليم العربي، مخطوط، خ. ع. ح 115، ص 499.

[8] الحسين أسكان، تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط (1-7/9-15م)، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الدراسات التاريخية والبيئية، الرباط، 2004، ص 35.

[9] الحسين أسكان، الدولة والمجتمع في العهد الموحدي (668-515هجرية)، أطروحة دكتوراه الدولة، مرقونة بكلية الآداب ظهر المهراز، بفاس، سنة 2001، ص ص 209 – 221.

[10] Christiane KLAPISH-ZUBER, Femmes in Dictionnaire des Sciences historiques, sous la direction de A. BURGUIERE, Paris, P.U.F, 1986, P. 282.

[11] Voire Nicole ARNAUD-DUC, Les contradictions du droit, in « Histoire des Femmes en occident », Sous la direction de Georges DuBy et Michelle Perrot, Vol I, Le XIX° Siècles, Paris, Plon, 1991, P. 16.

[12] محمد الهلالي، "نظرة المجتمع للمرأة في مغرب القرن 8-9/14-15، مساهمة في تاريخ الذهنيات"، مجلة أمل، ع 13 – 14، ص 76.

[13] عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر الأول.

[14] محمد الهلالي، "نظرة المجتمع للمرأة في مغرب القرن 8-9/14-15، مساهمة في تاريخ الذهنيات"، مجلة أمل، ع 13 – 14، ص 76.

[15] M. G. Demombynes, les institutions musulmanes, Paris, 1946, PP. 137 et 173. H. D. E. T. D'Arlach, Le Maroc et le Rif en 1856, Paris, 1956, P. 53.

[16] عثمان المنصوري، "تاريخ المرأة المغربية في العصر الحديث"، مجلة أمل، ع 13 – 14، ص ص 151 - 152.

[17] مجهول، تاريخ الدولة السعدية الدرعية التاكمدارتية، نشر جورج كولان، الرباط، 1934. عبد العزيز الفشتالي، مناهل الصفا. محمد الوفراني، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي.

[18] محمد بن عسكر، دوحة الناشر لمحاسن من كل بالمغرب من مشايخ القرن العاشر. محمد الفاسي، مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن. القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني. ودرة الحجال في أسماء الرجال. وجذوة الاقتباس. والمنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور.

[19] عبد الوهاب الدبيش، "المرأة في الأسطغرافية المرينية"، مجلة أمل، ع 13 – 14، السنة الخامسة، 1998، ص 147.

[20] الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج 1. مارمول كربخال، إفريقيا، ج 2. لدييغودي طوريش، تاريخ الشرفاء.

[21] الونشريسي، المعيار المعرب. عبد العزيز الزياتي، الجواهر المختارة، مخطوط. عيسى السكتاني، أجوبة السكتاني، مخطوط.

[22] فاطمة العيساوي، "وثائق حول المرأة"، مجلة أمل، ع 5، السنة الثانية، 1994، ص ص 157 – 158.

[23] نفسه، ص 157.

[24] نفسه.

[25] إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج 1، ص 218.

[26] الحسن العبادي، عمل المرأة في سوس، ص 15.

[27] لحسن اليوبي، الفتاوى الفقهية، ص 309.

[28] أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله الحضيكي الجزولي،المتوفى سنة 1775/1189،من علماء سوس وفقهائها المرموقين،له فتاوى ومؤلفات في مختلف العلوم. أنظر: المختار السوسي، سوس العالمة، ص 193. المراكشي، الأعلام، ج 6، ص 81.

[29] أحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، ورقة 4.

[30] محمد بن علي السوسي، تنبيه الإخوان، ص 102.

[31] نفسه، ص 74.

[32] محمد الناصري، المزايا فيما أحدث من البدع بأم الزوايا، نسخة محفوظة بالخزانة الحسنية، تحت رقم 11038، ورقة 10.

[33] نفسه، ص 107.

[34] أبو مهدي عيسى بن عبد الرحمان السكتاني، من الفقهاء الأجلاء في العصر السعدي، تولى قضاء الجماعة بمراكش، وكانت له مشاركة فعالة في الحركة العلمية، وحضور قوي في المجال السياسي. أنظر: محمد حجي، الحركة الفكرية، ج 2، هامش ص 391.

[35] نوازل الرسموكي، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، تحت رقم 3566، ورقة 45.

[36] رحال بوبريك، بركة النساء، ص 194.

[37] محمد بن علي السوسي، تنبيه الإخوان على ترك البدع والعصيان، تحقيق: محمد ستيتو. مراجعة: أحمد حدادي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، 2001، ص 71.

[38] نفسه، ص 107.

[39] زاد من شهرتها اتخاذها من طرف الطائفة الكناوية أحد رموزها/ ملوك في طقوس ليالها الاحتفالية، حتى اشتهرت باسم للاميمونة تكناوت، أو ميمونة الكناوية. أنظر: رحال بوبريك، بركة النساء، ص 193.

[40] الأجوبة الناصرية، ورقة 23.

[41] نفسه ورقة 84.

[42] محمد الناصري، فيما أحدث من البدع بأم الزوايا، ص 142.

[43] نفسه، ص 81.

[44] الإكراري، روضة الأفنان، ص ص 184 – 185.

[45] الحسن العبادي، الصالحات المتبرك بهن في سوس، ص 49.

[46] محمد المختار السوسي، المعسول، ج 2، ص 54.

[47] ابن الحاج، المدخل، ج 1، ص 277.

[48] عبد الهادي التازي، المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي، دار الفنك، 1992.
[49] المقري، نفح الطيب، بيروت، 1968، ج 4، ص 150.
[50] المختار السوسي، المعسول، ج 3، ص 40.
[51] المعسول، ج 7، ص 28.
[52] نفسه، ج 10، ص 167.
[53] الحضيكي، طبقات الحضيكي، ج 1، ص 202.
[54] محمد الحاتمي، مادة"الدرقاوي علي"، معلمة المغرب، ع 12، ص 4015.
[55] المختار السوسي، المعسول، ج 3، ص 39.
[56] نفسه، ج 3، ص 43.
[57] نفسه، ج 3، ص 43.
[58] المعسول، ج 3، ص 57.
[59] نفسه.
[60] الحسن العبادي، الصالحات المتبرك بهن في سوس، ص 14.
[61] المعسول، ج 3، ص 57.
[62] يوسف العريني، الحياة العلمية في الأندلس، ص 150.
[63] أحمد عمالك، مادة"الصوابي أحمد"، معلمة المغرب، ع 16، ص 5575.
[64] المختار السوسي، المعسول، ج 12، ص 62.
[65] الحسن العبادي، الصالحات المتبرك بهن في سوس، ص ص 48 – 49.
[66] المعسول، ج 3، ص 40.
[67] خلال جزولة، ج 3، ص 55.
[68] الحسن العبادي، الصالحات المتبرك بهن في سوس، ص 15.
[69] نفسه.
[70] فتاوى العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، جمع وتحقيق: محمد الأمين بن محمد بيب، الطبعة الأولى، 2002/1423، ص ص 31 – 32.
[71] ماء العينين بن العتيق،"بحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين"، الورقة 42. نقلا عن : محمد الظريف،"الحضور الثقافي لزاوية الشيخ ماء العينين بالجنوب المغربي"، ضمن أعمال ندوة: سوس والصحراء المغربية تواصل ثقافي وحضاري، يوم الأحد 12 يوليوز 1998، الطبعة الأولى، 1999/1419، ص 44.
[72] ابن عذاري، البيان المغرب، دار الثقافة، بيروت، ج 1، ص 27.
[73] حجي، صلحاء مغاربة لهم علاقة بالبحر، المملكة المغربية، المندوبية العامة، معرض 98، لشبونة، ص 29.
[74] مفردها مكتب، ويطلق أيضا على هذا المعنى من هذه المادة، نفسه لفظة كتاتيب، جمع كُتاب. والمكتب هو المحل الذي يتعلم فيه المبتدئون بمنزلة المدارس الابتدائية اليوم في الأمم المتمدنة، ثم صار يطلق على المحلات التي يتعلم فيها القرآن مع مبادئ الدين، واستبدلت هذه اللفظة في المدن وما إليها من سكان العرب بلفظة "الإحضار"ويطلق عليها في البوادي السوسية "أَخْرْبِيشْ". أنظر: المختار السوسي، مدارس سوس العتيقة، ص 11.
[75] دندش، الأندلس في نهاية المرابطين، ص 396. يوسف العريني، الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين، ط 1، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز، العامة، الرياض، 1995/1416، ص 149.
[76] صباح علاش، "المساجد/ المدارس بالريف"، المدارس العتيقة بالمغرب دور القبائل في التدبير والتمويل، تنسيق: محمد أيت حمزة ومبارك أيت عدي، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2015، ص 39، الهامش 11.
[77] الغالية بلعمش، قضايا من تاريخ المرأة الصحراوية، بحث لنيل دبلوم الماستر في التاريخ، تحت إشراف: محمد المازوني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، الموسم الجامعي 2009 – 2010، ص 88.
[78] كلمة تستعمل في سوس للدلالة على عملية توظيف رجل حافظ للقرآن –على الأقل- لتعليم الأطفال، وإمامة الناس للصلاة، وما يصاحب ذلك من اتفاق على مقدار ما يتقاضاه المدرس مقابل هذا العمل. أنظر: الإكراري، روضة الأفنان، ص 192، الهامش: 2.
[79] الغالية بلعمش، قضايا من تاريخ المرأة الصحراوية، ص 84.
[80] الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج 2، ص 116.
[81] الخليل النحوي، بلاد شنقيط، ص 170.
[82] نفسه، ص 289.
[83] الغالية بلعمش، قضايا من تاريخ المرأة الصحراوية، ص 86.
[84] رواية شفوية للسيدة عجينة ماء العينين، تبلغ من العمر 66 سنة، بمدينة الداخلة، 14-09-2008. نقلا عن: الغالية بلعمش، قضايا من تاريخ المرأة الصحراوية، ص 87.
[85] تنتمي إلى قبيلة إيداو علي في تكانت (بالكاف معقودة).
[86] أنظر ترجمته: المختار السوسي، المعسول، ج 3، ص 35.

[87] رواية شفوية لأحد تلامذتها، الشيخ محمد، يبلغ من العمر 68 سنة، بمدينة العيون، 12-08-2009. نقلا عن: الغالية بلعمش، قضايا من تاريخ المرأة الصحراوية، ص 86.
[88] رواية شفوية للسيدة صفية منت أحمد محمود، تبلغ من العمر 69 سنة، بمدينة الرباط، 1-09-2009. نقلا عن: الغالية بلعمش، قضايا من تاريخ المرأة الصحراوية، ص 86.
[89] الخليل النحوي، بلاد شنقيط، ص 289.
[90] أحمد بابا ولد عبد الله العتيق، نقلا عن: الغالية بلعمش، قضايا من تاريخ المرأة الصحراوية، ص 195.
[91] محمد حجي، مادة"خجو آمنة"، معلمة المغرب، ع 11، ص 3673.
[92] محظرة من الاحتظار أو محظرة من الحضور أو المحاضرة. المحظرة والمحاضر دالة على المدرسة. أنظر: الخليل النحوي، بلاد شنقيط، ص ص 61 – 62.
[93] Le Courtois : Etude expérimentale sur l'enseignement traditonnel en Mauritanie, P. 31.
[94] المختار بن حامد، تاريخ موريتانيا الثقافي، ج 2، ص 180. نقلا عن : المرأة المغربية في عهد المرابطين.
[95] محمد الناصري، المزايا فيما أحدث من البدع بأم الزوايا، نسخة مصورة محفوظة بالخزانة الحسنية، تحت رقم 11038، الورقة 10.
[96] المختار السوسي، خلال جزولة، ج 4، ص 21.
[97] [97] الكرسيفي، المؤلفات الفقهية، ص ص 244 – 245.
[98] المعسول، ج 11، ص ص 127 – 128.
[99] الحسن العبادي، الصالحات المتبرك بهن في سوس، ص 9.
[100] نفسه.
[101] المعسول، ج 12، ص 62. ج 15، ص 140. ج 16، ص 29.
[102] الحسن العبادي، الصالحات المتبرك بهن في سوس، ص 49.
[103] من أفواه الرجال، ج 2، ص ص 55 – 56.
[104] المعسول، ج 6، ص 148.
[105] نفسه، ص ص 148 - 149.
[106] نفسه، ص ص 165 – 166.
[107] رجالات العلم، ص 130. المعسول، ج 11، ص 87.
[108] نفسه، ج 2، ص 57.
[109] الخليل النحوي، بلاد شنقيط، ص 289.
[110] نفسه، ص ص 288 – 289.
[111] نفسه، ص 289.
[112] رحال بوبريك، بركة النساء، ص 118.
[113] الحضيكي، طبقات الحضيكي، ج 1، ص 95.
[114] المختار السوسي، المعسول، ج 12، ص ص 94 – 95.
[115] مبارك لمين، "المرأة العالمة في سوس،" مجلة المناهل، ع 75 – 76، ص 392.
[116] المختار السوسي، رجالات العلم العربي في سوس، ص 82.
[117] أفواه الرجال، ج 2، ص ص 55 – 56.
[118] الحسن العبادي، الصالحات المتبرك بهن في سوس، ص 15.
[119] المعسول، ج 5، ص 216. ج 12، ص 64.
[120] فتاوى لعلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، ص ص 31 – 32.
[121] مبارك لمين، "المرأة العالمة في سوس من خلال بعض مؤلفات محمد المختار السوسي،" سلطة المعرفة وسؤال الهوية، مجلة المناهل، ع 75 – 76، ص 389.
[122] ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، الدار البيضاء، 1984، ص 94، الترجمة رقم 7.
[123] مبارك لمين، "المرأة العالمة في سوس"، مجلة المناهل، ع 75 – 76، ص 389.
[124] البادسي، المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، المطبعة الملكية، الرباط، 1982، ص 92.
[125] ابن الحاج، المدخل، ج 2، ص 19.
[126] علي الربيعو، العنف والمقدس والجنس في الميثولوجيا الإسلامية، نشر المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1995م، ص ص 194 – 195.
[127] مبارك لمين، "المرأة العالمة في سوس"، مجلة المناهل، ع 75 – 76، ص 390.
[128] نفسه، ص ص 388 – 389.
[129] المريني، "نظرة تاريخية عن المرأة المغربية"، مجلة أمل، ع 13-14، ص 121.

[130] المختار السوسي، سوس العالمة، ص ص 18 - 155.
[131] المعسول، ج 4، ص 9.
[132] رجالات العلم العربي في سوس، ص 82.
[133] المعسول، ج 7، ص 27.
[134] مبارك لمين،"المرأة العالمة في سوس"، مجلة المناهل، ع 75-76، ص 392.
[135] المعسول، ج 8، ص 130.
[136] محمد المنوني،"المؤسسات التعليمية الأولى بسوس وخصائص المدارس العتيقة بالمنطقة"، مجلة المناهل، ع 34، ص ص 50 – 51.
[137] تاريخ الوراقة المغربية صناعة المخطوطات المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1991، ص ص 207 – 208.
[138] مبارك لمين،"المرأة العالمة في سوس"، المناهل، ع 75-76، ص 391.
[139] محمد المختار السوسي، المعسول، ج 12، ص 64.
[140] نفسه، ج 5، ص 216.
[141] هلالية الأصل، كما قال الإمام الحضيكي : من بني عَبْلي، وبنو عَبْلي فرع من بني الحسن، وبنو الحسن فرع من بني تاسكدلت، وبنو تاسكدلت فرع من بني ظريفة، وبنو ظريفة نسبهم هكذا:"أولاد ظريفة بنت تكنت بن أولى بن وضَفْ بن أنصفيان بن أعراب بن إلالْن بن غفير بن حسان بن ثابت بن عباس بن عبد الله بن جعفر"انتهى. ومن قال غير هذا فقد افترى افتراء بعيداً. أنظر: طبقات الحضيكي، ص ص 474 – 475.
[142] رجالات العلم العربي في سوس، ص 94.
[143] الحضيكي، طبقات الحضيكي، ج 2، ص 592.
[144] للمعداني، الروض اليانع الفائح، مخطوط، خ. س. 61: 231/1. المعسول، ج 20، ص ص 280 – 281.
[145] الحسن العبادي، الصالحات المتبرك بهن في سوس، ص 57.
[146] محمد المختار السوسي، المعسول، ج 2، ص 54.
[147] المختار السوسي، المعسول، ج 18، ص 110.
[148] نفسه، ج 11، ص ص 87 – 96.
[149] رجالات العلم العربي في سوس، ص 130.
[150] الإكراري، روضة الأفنان، ص 187.
[151] المختار السوسي، المعسول، ج 3، ص 40.
[152] نفسه، ص ص 39 – 40.
[153] نفسه، ص 40.
[154] نفسه، ج 3، ص 39.
[155] نفسه، ج 11، ص 51.
[156] المعسول، ج 2، ص 292.
[157] المعسول، ج 8، ص 133.
[158] الساحلي، المدارس العلمية العتيقة بسوس، ج 4، ص 162.
[159] هذه القبائل ترتد حسب النسابين القدماء أصلها إلى البرانس (أحد الأقسام الكبرى للأمازيغيين)، وتشترك في الأصل مع مجموعات قبلية أخرى، مثل:أوربة، مصمودة، كتامة، وغيرها. ونمط العيش الغالب على هذا القسم من الأمازيغ هو الاستقرار والتحضر. وتعرف الفروع الصحراوية "بصنهاجة الصحراء"، أو"صنهاجة الرمال". يعرفون بالملثمين نسبة إلى زيهم المتميز. وتكون صنهاجة من عدد من القبائل يقارب السبعين قبيلة، أشهرها:كدالة، مسوفة، لمثونة، جزولة، لمطة، تاركا التي ينحذر من الطوارق المعاصرين بجنوب الجزائر وشمال مالي. أنظر: ابن خلدون، كتاب العبر، ج 6، بيروت، 1967، ص 201. إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، الدار البيضاء، ط 2، 1984، ج 1، ص 154. الحسين أسكان،"المرأة الصنهاجية"، مجلة أمل، ع 13 – 14، ص 66.
[160] الحسين أسكان، المجتمع والدولة في العصر الموحدي، ص ص 224 – 226.
[161] عبد الحق المريني،"نظرة تاريخية عن المرأة المغربية"، مجلة أمل، ع 13 – 14، ص 119.
[162] شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مصطفى أبو ضيف، منشور تحت عنوان: تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، ط، دار النشر المغربية، د.ت، ونشر القسم الخاص منه بالدولة الفاطمية ببلاد المغرب مستقلا، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1988، ص ص 385 – 386.
[163] ابن عبد الله، معجم نساء المغرب، ص 11.
[164] الخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، ص ص 289 – 290.
[165] عبد الحق المريني،"نظرة تاريخية عن المرأة المغربية"، مجلة أمل، ع 13 – 14، ص 118.
[166] الخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، ص 512.
[167] نفسه.
[168] فتاوى العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، ص 33.
[169] عبد الحق المريني،"نظرة تاريخية عن المرأة المغربية"، مجلة أمل، ع 13 – 14، ص 119.

[170] الخليل النحوي، بلاد شنقيط، ص ص 289 – 290.
[171] نفسه، ص 289.
[172] عباس الجراري، ثقافة الصحراء، ص ص 28 – 30. نقلا عن: بلاد شنقيط، ص ص 289 – 290.
[173] المختار السوسي، المعسول، ج 18، ص ص 109 – 112.
[174] المختار السوسي، المعسول، ج 3، ص 57.
[175] الخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، ص 289.
[176] شيبة ماء العينين،"التمازج الاجتماعي والثقافي بين سوس والصحراء المغربية"، ضمن أعمال ندوة: سوس والصحراء، ص 86.
[177] نفسه.
[178] محمد الناصري، الأحباس الإسلامية في المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1412-1992، ص 65.
[179] المختار السوسي، سوس العالمة، ص 162.
[180] المعسول، ج 3، ص 278.
[181] المختار السوسي، مدارس سوس العتيقة نظامها – أساتذتها، ص 12.
[182] العباسي، أجوبة العباسي، ورقة 192 أ.
[183] مما يسمونه شرطاً من زرع وإدام ودراهم وصوف وغنم وغير ذلك. أنظر: المعسول، ج 3، ص 276.
[184] محمد أبو طالب، نوازل تربوية، التاريخ وأدب النوازل، إنجاز الجمعية المغربية للبحث التاريخي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، الطبعة الأولى، 1995، ص 94.
[185] عمر أفا، الحسين أفا، قبيلة مسكينة، ص 183.
[186] استيتو، الفقر والفقراء، ص 255.
[187] العلام أو البراح: هو الشخص الذي يتولى مهمة الإعلام، وذلك بإطلاق النداء بأعلى صوته في الأسواق والمواسم وأمام المساجد وساحة المدينة ودروبها، وفي مختلف القرى والمداشر. أنظر: عمر أفا، مادة "البراح"، معلمة المغرب، الجزء الرابع، ص 1151.
[188] نفسه.
[189] ما يؤكل بين الغذاء والعشاء. أنظر: المختار السوسي، سوس العالمة، ص 154.
[190] المختار السوسي، مدارس سوس العتيقة، نظامها – أساتذتها، ص 13
[191] أطفال الدوار يسمون "إمحضارن"، أنظر : الحسين ألواح، مادة"تيكا"، معلمة المغرب، ع 8، ص 2729.
[192] العباسي، أجوبة العباسي، ورقة 138 أ.
[193] نفسه.
[194] الحضيكي، طبقات الحضيكي، ص 474.
[195] بوبريك، بركة النساء، ص 156.
[196] أحمد عمالك، مادة"الأنصارية حفصة"، معلمة المغرب، ع 3، ص 846.
[197] ابن ناصر، فهرس، مخطوط، ص 8. نقلا عن:نفيسة الذهبي، مادة"التامكروتية ميمونة"، معلمة المغرب، ع 7، ص 2192.
[198] المعسول، ج 2، ص 57.
[199] أسمهر، أيت عدي، رامو،"التمويل القبلي للمدارس العتيقة وتحولاته مدرسة سيدي يعقوب بإيلالن نموذجا"،المدارس العتيقة بالمغرب، ص ص 24 - 25.
[200] يهيء من السميد أو الدقيق المفتول واللحم والخضر. أشار المؤرخ شارل أندري جوليان Ch. A. Julien إلى أن المزارعين (البربر) في الشمال الإفريقي كانوا يأكلون الكسكس منذ العصر القديم. ووصفته المصادر بطعام الفقراء، قال عنه الوزان: "أما كسكسو المستضعفين فهو "البركوس"، وهو كثير الاستعمال خصوصا في جنوب المغرب، حيث يعرف بالبركوكش، ويندرج ضمن الأطعمة الشعبية." أنظر:

Ch. A. Julien, Histoire de l'Afrique du Nord, T1, Paris, 1964, P. 57.

الوزان، وصف إفريقيا، الجزء الأول، ص 260. العباس، الإعلام، الجزء الأول، الرباط، 1973، ص 260.
[201] المختار السوسي، سوس العالمة، 154
[202] واوزدويت : مشتقة من تزدويت، وهي العشية، أي فترة ما بعد الزوال. أنظر: نوحي، أيت عدي، "بعض المصطلحات المرتبطة بالمدارس العلمية العتيقة بسوس،" المدارس العتيقة بالمغرب، ص 170.
[203] نفسه.
[204] غالباً ما يكون من كبار السن. أنظر: الحسين ألواح، مادة"تيكا"، معلمة المغرب، ع 8، ص 2729.
[205] السعيدي، المدارس العتيقة، ص 202.
[206] تسمى "تاكولا" أو "بوفي"، طريقة تحضيرها عبر طبخ الدقيق في الماء حتى يتماسك، أو من "السميدة" بإضافة الزبدة لها، كما تعد كذلك من "البلبولة" التي أصلها من الشعير أو من الذرة "أسنكار". ووصفها حسن الوزان بأنها طعام خشن، فقال: "وهناك طعام خشن يدعى العصيدة، ويهيأ بالطريقة التالية: يغلى الماء في قدر ثم يوضع فيها دقيق الشعير، ويحرك بقضيب حتى ينضج، تصب هذه العصيدة في طبق مجوف، وتجعل في وسطه حفرة تملأ بزيت الهرجان، هذه وتجتمع الأسرة كلها حول هذا الطبق، فيأخذ كل واحد منه بيده دون ملعقة ما يستطيع حتى لا يبقى شيء في الطبق، وفي خلال الربيع والصيف، كله يطبخ هذا الدقيق في اللبن ويدهن بالزبد، ذلك هو العشاء

العادي..." وقال عنها المختار السوسي: وهو مطعم الرعاة في مرابعهم، وقد يصنعونه من الحليب الملتوت بالدقيق. أنظر: الوزان، وصف إفريقيا، ج 1، ص 76. المختار السوسي، المعسول، ج 1، ص 45.

[207] المختار السوسي، المعسول، ج 14، ص 219.

[208] أمزيان، "النظام التربوي للمدارس العلمية"، مدينة تزنيت وباديتها، ص 342.

[209] مادة"أدوال"، معلمة المغرب، ج 1، ص 285.

[210] المختار السوسي، المعسول، ج 4، ص 126. ج 6، ص 69. ج 10، ص 148.

[211] المختار السوسي، مدارس سوس العتيقة نظامها-أساتذتها، ص 41.

[212] لعل الأصل في تسميتها يعود للعشر الأوائل من ذي الحجة. وهي العطل التي يستفيد منها المتعلمون في مختلف المناسبات الدينية.

[213] المعسول، ج 1، ص 34. الإلغي، المدرسة الأولى، ص 102.